

تحديات الحفاظ على التراث العربي في إسرائيل



4	مقدمة
5	المجتمع العربي في إسرائيل
7	نقل ملكية بعض المباني التراثية
7	انعدام التخطيط في البلدات العربية
8	التراث الثقافي العربي في الجليل: حيفا، عكا والقرى
8	حيفا
15	عكا
21	التراث الثقافي العمراني في قرى الجليل
22	المطالبة بالاعتراف بالقرى العربية المدمرة
23	ملخص السياسة المحلية للحفاظ على التراث المحلي في القرى

كتابة وبحث: د. رامز عيد، الجامعة المفتوحة

تدقيق لغوي: نوعة شليطن

تصميم: ليئور كوهين

عميق شافيه هي منظمة تعمل من أجل الحقوق الثقافية والتراثية والحفاظ على الموقع الآثار كممتلكات عامة تعود ملكيتها لجميع المجتمعات والشعوب. نحن نحارب استخدام المواقع التراثية والبقايا الأثرية كأداة سياسية في الصراع بين إسرائيل والفلسطينيون.



جمعية الثقافة العربية: مؤسسة مستقلة غير ربحية، أقيمت في عام 1998 بهدف تعزيز الثقافة والهوية العربية لدى الفلسطينيين في إسرائيل. تعتبر من المؤسسات الرائدة، وبرزت من خلال برامجها النوعية الريادية في مجالات ثقافية عديدة؛ أهمها: اللغة العربية، الفنون والأدب، العمارة، معرفة الوطن. ساهمت برامجها ومشاريعها وأنشطتها وإصداراتها في تحصين الهوية الوطنية والثقافية، خصوصًا في أوساط الفئات الشابة، وفي تأكيد مكانة اللغة العربية.



شكرًا لطاقتهم جمعية عميق شافيه وجمعية الثقافة العربية، كما نتقدم بالشكر إلى الطلاب الذين شاركوا في النقاشات وفي كتابة مساهمات إضافية: يحيى أبو ريا وآلاء فقرا وعيد حاج.

هذا الإصدار أنتج بدعم مالي من الاتحاد الأوروبي، المضمون هو على مسؤولية عميق شافيه ولا يمثل بالضرورة موقف الاتحاد الأوروبي.



برعاية الاتحاد الأوروبي.

مقدمة

تشير مناقشة المواقع التراثية التساؤل حول ما الذي يجعل بعض المواقع جزءًا من التراث. ترتبط عملية اختيار موقع لقائمة التراث العالمي أو المحلي، في دول كثيرة، بتقييمه وفقًا لمعايير وقيم خاصة من قبل هيئة رسمية في الدولة ذات السيادة على المنطقة التي يقع فيها الموقع. يتم تصنيف المواقع التي تم تعريفها على أنها مواقع تراثية في قائمة التراث (Heritage Register).

من المهم التوضيح أنّ هذه العملية، التي يتم فيها الاعتراف رسميًا بغرض ما، أو مكان، أو ممارسة، على أنها تمثل التراث ومن ثم ضمها إلى قائمة المواقع التراثية، هي عملية لا تتعلق فقط بالحفاظ على التراث، ولكن أيضًا بإنشاء تراث رسمي. تخضع المواقع التراثية لسلسلة من الإرشادات حول كيفية الحفاظ عليها، على عكس المواقع الأخرى. على سبيل المثال، من الشائع في جميع أنحاء العالم إدارة مواقع التراث الرسمية والحفاظ عليها بشكل فعال، وهناك توقع بأن تموّل الحكومة أو السلطات المحلية أو غيرها من السلطات الإدارية عمليات حفظها وإدارتها¹.

للمواقع التراثية معانٍ وأدوار وقيم متنوعة في حياة السكان المحليين الذين يعيشون بالقرب منها أو داخلها. بطبيعة الحال، فإن التعزيز الرسمي للدولة وسلطاتها لمواقعها وتراثها يؤثر بشكل كبير على التراث والأهمية المحلية للسكان المحليين الذين يعيشون بالقرب من المواقع التراثية وداخلها. تُظهر هذه المواقع - مواقع التراث الوطني الرسمية ومواقع التراث العالمي (World Heritage Sites) - أنها تؤدي دورًا ثقافيًا على الأقل ليس فقط في حياة السكان المحليين، ولكن أيضًا في المجتمع الوطني في الدولة وحتى في المجتمع العالمي. تشير هذه الازدواجية إلى الأهمية الكبرى للمواقع، ولكنها قد تشير أيضًا جدلاً حول من له الحق في تحديد الوصول إلى موقع تراثي وإدارته.

وبالفعل، في كثير من الحالات، يتنافس الرسمي والمحلي بينهما على التراث. بطبيعة الحال، فإن التراث نفسه هو أيضًا عملية ديناميكية يوجد فيها تنافس على صيغة الماضي، وعلى الحقوق الأخلاقية والقانونية النابعة عن هذه الصيغة أو تلك للماضي، وعلى التمثيل الرسمي في الوقت الحاضر². يعبر هذا التنافس عن جانبين من جوانب صناعة التراث:

1. من أعلى إلى أسفل - تصفّ الدولة وتُعزز أماكن معينة باعتبارها تجسيدًا للقيم الإقليمية، أو الوطنية أو الدولية التي تخلق تراثًا رسميًا.
2. من الأسفل إلى الأعلى - العلاقة بين الأشخاص والأشياء والأماكن والذكريات هي الأساس لخلق أشكال غير رسمية من التراث، وغالبًا على المستوى المحلي.

جانب آخر من ممارسات التراث هو طريقة القرار بالحفاظ عليه - اختيار ما يجب الحفاظ عليه من الماضي وما يجب التخلص منه: أي الذكريات يجب الاحتفاظ بها وأيها يجب التخلي عنه؛ المواقع التذكارية التي يجب تشييدها وأي مواقع يجب هدمها؛ المباني التي يجب الحفاظ عليها وتلك التي يجب استبدالها بمبانٍ جديدة.

[1] S. Labadi and C. Long (eds.), 2010. *Heritage and Globalisation*, London and New York: Routledge.

[2] W. Logan, M. Nic Craith and U. Kockel (eds.), 2016. *A Companion to Heritage Studies*, Oxford: John Wiley & Sons.

يوضح هذا الجانب من التراث عمليات إنتاج ذاكرتنا الاجتماعية الجمعية - نحن نستخدم كلاً من الأشياء التراثية (التحف الفنيّة، المباني، المواقع والمناظر الطبيعية) والممارسات التراثية (اللغات، الموسيقى، إحياء ذكرى مجتمعية والحفاظ على الأشياء والذكريات من الماضي) لتشكيل أفكارنا عن الماضي والحاضر والمستقبل³.

لتوضيح الفرق بين الأشياء التراثية والممارسات التراثية، بالإمكان فحص وجهات النظر المختلفة التي يُنظر إلى التراث من خلالها، حيث توجد العديد من أشكال التصنيف الرسمي التي يمكن تطبيقها على مواقع التراث حول العالم على المستوى الوطني - تضيق هذه الورقة عن ذكرها كلها. نكتفي هنا بالقول إنّ التراث كمجال عملي مليء بالقوائم - فالحاجة إلى الفهرسة هي جانب مهم بطبيعتها.

يعرف معظم الناس ما هو التراث، حتى لو لم يعرفوا كيفية تعريفه، وسوف يلاحظون وجود تراث رسمي معين ربما يتعارض مع هويتهم الشخصية أو الجمعية، وكذلك الأجزاء التي لا تتطابق مع تصورهم الخاص لذلك التراث⁴. على سبيل المثال، يزور الكثيرون متحمًا ووطنياً في البلاد التي يعيشون فيها ويلاحظون أن الأعمال المدرجة فيه لا تصف تمامًا ما يدركونه على أنه تاريخهم وتراثهم. أي أن التراث الرسمي هو بالضرورة إرث جزئي وانتقائي. الفجوة بين ما يدركه الفرد على أنه تراثه وبين التراث الرسمي الذي تروج له وتديره الدولة، تكشف عن إمكانية وجود أكثر من تراث (multiple heritages).

هناك محاولات من قبل المجتمع العربي الفلسطيني في إسرائيل في السنوات الأخيرة، بالوسائل الضئيلة المتاحة له، لإحياء تراثه العمراني. وللأسف، وكما يظهر هذا التقرير، فإن الدولة لم تقف إلى جانب المجتمع العربي في الحفاظ على هذا التراث ولم تُدرج مواقع التراثية في أي من القوائم الرسمية⁵، والتي تعد جانبًا مهمًا من جوانب صوغ التراث، بل تجاهلت المواقع التي تهم الجمهور العربي في إسرائيل، وأهمتها ولم تقدم لها الدعم المالي أو الإداري⁶.

المجتمع العربي في إسرائيل

يشكل العرب الفلسطينيون من مواطني دولة إسرائيل اليوم حوالي 21% من مجمل سكان الدولة. في نهاية عام 2019 كان يعيش حوالي 1.9 مليون عربي في إسرائيل (بما في ذلك حوالي 300000 يعيشون في القدس الشرقية كمقيمين في الدولة ولكن ليس كمواطنين) من أصل 9.1 مليون مواطن ومقيم في إسرائيل (74.1% يهود و- 4.9% غير يهود وديانات أخرى). من الناحية الدينية، معظم العرب في إسرائيل مسلمون (83%) والبقية مسيحيون (9%) ودرور (8%). يعيش حوالي 55% من العرب في إسرائيل في شمال البلاد - في بعض مناطق الجليل. حوالي 18% يعيشون في منطقة المثلث. حوالي 11% في شمال النقب. حوالي 4% في القدس الشرقية. حوالي 12% في المدن المختلطة (مثل حيفا والرملة واللد)⁷.

[3] L. Smith, 2006. *The Uses of Heritage*, New York: Routledge.

[4] D. Lowenthal, 2009. *The Heritage Crusade and the Spoils of History*, Cambridge: Cambridge University Press.

[5] خذ على سبيل المثال برنامج "المعالم" في وزارة شؤون القدس والتراث.

[6] هذا التقرير هو تلخيص لدراسة في إطار مشروع Safeguarding the Indigenous Heritage in Public Spaces بدعم من European Instrument for Democracy and Human Rights (EIDHR) ويشمل مقابلات مع السكان ودمج المعلومات مع معطيات وزارات حكومية ومراجعة دراسية.

[7] خصائص ديمغرافية، موقع دائرة لإحصاء المركزية <http://www.cbs.gov.il/>

تاريخ السكان العرب منذ قيام دولة إسرائيل هو قصة مجموعة أغلبية في البلاد الذين أصبحوا فجأة أقلية ديمغرافية واجتماعية. عندما يحدث مثل هذا الوضع، حيث تصبح الأغلبية أقلية، يعتبر هؤلاء السكان، على المستوى القانوني الدولي، مواطنين صلايين (natives). على عكس الأقليات المهاجرة التي تختار مغادرة بلدها والاستقرار في بلد أجنبي، فإن الأقليات الأصلية تعيش في وطنها قبل التغييرات السياسية في المنطقة (تغييرات الحدود، وإنشاء دولة جديدة أو توحيد الدول)، وتحدث التغييرات في وطنها دون اختيارها. الأقلية العربية الفلسطينية في دولة إسرائيل هي أقلية محلية، أصلانية، وتتطلع إلى تحقيق حقوقها الجماعية الفريدة، كما هو معتاد في الدول الديمقراطية في العالم. في إسرائيل، العلاقات بين الأغلبية اليهودية والأقلية العربية معقدة بشكل خاص، بسبب الصراع المستمر بين الشعبين وبسبب تعريف دولة إسرائيل منذ إقامتها كدولة يهودية - وهو تعريف مجرد صياغته تعني إقصاء مواطنيها العرب⁸.

وتكرّس هذا الإقصاء من ناحية دستورية مع سنّ "قانون أساس: القومية" الذي يعرّف إسرائيل بأنها "الدولة القومية للشعب اليهودي" في عام 2018، مع ما انطوى عليه من مداخل تتعلق بالتراث العربي، موضوع هذا التقرير.

معظم مواقع التراث العربي في القرى والمدن في إسرائيل، أو في المدن التي كانت عربية حتى عام 1948، بُنيت خلال الحكم العثماني في البلاد، الذي استمر قرابة 400 عام وانتهى خلال الحرب العالمية الأولى. العديد من المباني التي بنيت في ذلك الوقت، وخاصة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وأوائل القرن العشرين، لا تزال مبعثرة في العديد من البلدات. على الرغم من أن الحكم العثماني ترك الضعف الاجتماعي والاقتصادي في جميع أنحاء الشرق الأوسط، إلا أن السكان العرب تمكنوا من إنشاء مدن مثيرة للإعجاب منذ نهاية القرن التاسع عشر، ثم تطوير نظام التجارة في الدولة في أواخر العهد العثماني مقارنة بالدول الأخرى بسبب الموقع الجغرافي⁹. تجدر الإشارة هنا على سبيل المثال إلى إحياء مدينتين - حيفا وعكا (التفاصيل أدناه) - خلال تلك الفترة. حتى منتصف القرن التاسع عشر، كانت حيفا قرية صغيرة وفقيرة تعيش في ظل مدينة عكا، عاصمة المنطقة ومركزها. بدأ التغيير في تطور البناء في حيفا عندما تم تمهيد خط سكة حديد جديد يربطها بدمشق وخط سكة حديد الحجاز. تم بناء المستعمرة الألمانية (على طول شارع بن غوريون اليوم) في أواخر القرن التاسع عشر من قبل مجموعات من فرسان الهيكل من ألمانيا، وخلال خمسين عامًا أقيمت العديد من المباني والأحياء العربية في المدينة، وضاعفت عدد سكانها ست مرات.

خلال الانتداب البريطاني (1922-1948)، تضاعف عدد السكان اليهود في البلاد حوالي عشرة أضعاف، ويرجع ذلك أساسًا إلى الهجرة إلى إسرائيل، حيث وصل عددهم إلى حوالي 650.000 نسمة. تضاعف عدد السكان العرب وبحلول عام 1947 أصبح عددهم 1.4 مليون نسمة. يعيش حوالي 800 ألف منهم في المنطقة التي أصبحت اليوم ضمن حدود دولة إسرائيل (حدود الخط الأخضر). خلال حرب عام 1948 تغير الوضع: الغالبية العظمى من العرب الفلسطينيين الذين عاشوا في الأراضي التي كانت داخل حدود دولة إسرائيل غادروا قسرًا أو تم ترحيلهم خلال الحرب، وقررت الحكومة الإسرائيلية عدم السماح لهم بالعودة. تم تهجير مئات الآلاف من العرب من أراضيهم وأصبحوا لاجئين، وداخل دولة إسرائيل ضمن حدودها الجديدة، بقي حوالي 160 ألف عربي فقط. في ذلك الوقت، استوطن مئات الآلاف من اليهود من جميع أنحاء العالم في إسرائيل، وانقلبت

النسبة بين اليهود والعرب: شكل اليهود الأغلبية، حوالي 85% من إجمالي السكان، والعرب أقلية، حوالي 15%¹⁰.

خلال الحرب دمرت المواقع والمباني التراثية، ودُمرت العديد من الأحياء والبلدات العربية في الحرب، أو أفرغت من أصحابها. يقدر معظم الباحثين أنه خلال الحرب تم تدمير ما يقرب من 500 قرية عربية، وتم تهجير سكانها أو اضطروا إلى الهرب¹¹.

نقل ملكية بعض المباني التراثية

ترتبط مناقشة التراث العربي المبني بسيرورات تاريخية وبالإمكانات الكامنة في السيطرة وبملكية المباني والمواقع داخل إسرائيل، التي هي اليوم مواقع للتراث العربي الفلسطيني. أدت الأحداث التاريخية في النهاية إلى تحويل معظم الأراضي التي يملكها العرب الفلسطينيون إلى ملكية عامة أو إدارة عامة، أي إلى ملكية أو إدارة الدولة. فيما يلي لمحة موجزة عن بعضها:

1. مع إقامة دولة إسرائيل تم نقل الأراضي التي كانت تحت سلطة حكومة الانتداب أو بمسؤولية المفوض السامي (وليس في أيدي الملك الخاص) إلى ملكية الدولة.
2. في عام 1950 تم سن قانون أملاك الغائبين، الذي أجاز نقل الممتلكات التي تخص أولئك الذين تم تعريفهم كغائبين وفق القانون، إلى ملكية الدولة. الغائبون هم كل من امتلكوا أملاكًا في إسرائيل وغادروا إلى أرض كانت تحت سيطرة دولة معادية، أي الدول العربية. وأي شخص غادر منزله أثناء القتال وانتقل إلى قرية قريبة أو اختبأ بالقرب من منزله (سواء غادر طواعية أو تم ترحيله) وأُعلن كغائب. كما كان هناك غائبون هم بمكانة لاجئي الداخل. انتقلت أراضي ومنازل الغائبين الذين غادروا خلال الحرب إلى حارس أملاك الغائبين، فيما بعد إلى سلطة التطوير، ومن هناك إلى إدارة أراضي إسرائيل.
3. كما تم الإعلان عن معظم أراضي الوقف الإسلامية كأملك غائبين. هكذا تم نقل الأراضي والأبنية التاريخية التي تديرها هيئة الأوقاف، بما في ذلك المقابر والمؤسسات العامة، إلى ملكية الدولة.

انعدام التخطيط في البلدات العربية

منذ قيام الدولة لم يتم إنشاء أي بلدة عربية جديدة في إسرائيل (باستثناء البلدات البدوية في النقب)، والبلدات العربية القائمة اليوم كانت قد أقيمت قبل قيام الدولة دون تخطيط مسبق. ومن ثم فإن ظاهرة البناء بدون ترخيص منتشرة بين السكان العرب. وفقا للكثيرين منهم، فإن البناء بدون ترخيص هو نتيجة لضرورة الظروف وليس رغبة في خرق القانون.

وفقًا للقانون، من أجل بناء منزل، يجب الاتصال بلجنة التخطيط والبناء المحلية والحصول على تصريح بناء منها بناءً على مخطط تفصيلي للبلدة والأراضي المسموح فيها البناء مع معلومات شاملة عن البناء المسموح به. على سبيل المثال مساحة البناء المسموح بالأمتار على كل قطعة وموقعه. مع ذلك، ليست كل البلدات العربية لديها خارطة هيكلية صالحة أو محدثة. في البلدات التي توجد بها خرائط هيكلية من الصعب وضع مخططات تفصيلية (بموجبها تصدر تصاريح البناء) وتنفيذها، ولا يوجد سوى عدد قليل من السلطات

[10] B. Kimmerling and J. Migdal, 2003. The Palestinian People: A History, Cambridge: Harvard University Press, chap. 6: Odd Man Out – Arabs in Israel

[11] انظروا روحانا وصباغ خوري (محرران) 2011، (الهامش 7 أعلاه)؛ Kimmerling and Migdal 2003، (الهامش 8 أعلاه).

[8] أ كوفمان، مصطفى كبها، ي. بويمل. 2014. المجتمع العربي في إسرائيل، رعنا: الجامعة المفتوحة.

[9] نديم روحانا وأريج صباغ خوري (محرران)، 2011. الفلسطينيون في إسرائيل: قراءات في التاريخ والسياسة والمجتمع، حيفا: مدى الكرمل.

العربية التي لديها لجنة محلية للتخطيط والبناء. نتيجة لذلك، تكاد لا توجد سياسة بناء، ولا صيانة التراث المبني في البلدات العربية في دولة إسرائيل.

التراث الثقافي العربي في الجليل: حيفا، عكا والقرى

في شهر آب/ أغسطس 1999 قررت حكومة إسرائيل المصادقة على اتفاقية اليونسكو لعام 1972 لحماية التراث الثقافي والطبيعي في العالم. تتكون لجنة اليونسكو الإسرائيلية من ممثلين عن الوزارات الحكومية، الهيئات والسلطات العامة والمؤسسات الأكاديمية، وهي المسؤولة عن تطبيق الاتفاقية. عملها، تقوم اللجنة فعلاً بتطوير المواقع التراثية - اليهودية والصليبية وغيرها وتحافظ عليها - لكنها لا تبدي أي اهتمام بالتراث العمراني للجمهور العربي في إسرائيل. على المستوى الوطني، مجلس الحفاظ على المواقع التراثية في إسرائيل هو عبارة عن جمعية رسمية مرخصة من قبل حكومة إسرائيل، وشريكة لها في صوغ قائمة مواقع التراث للحفاظ في إسرائيل وتعمل على تعزيز الحفاظ في إسرائيل منذ عدة عقود. مع ذلك، فإن أنشطتها تتم بشكل رئيسي في البلدات اليهودية في إسرائيل، وتركز على المواقع الصهيونية بشكل عام، وعدد قليل جداً من المواقع التراثية التي تطورها تتبع إلى أبناء الطائفة الدرزية العربية¹². يعد غياب التراث العربي عن أسبوع الحفاظ على المواقع التراثية - الحدث السنوي الرئيسي للمجلس، والذي يركز عادة على المواقع الصهيونية - مثالاً واضحاً، وواحدًا من عدة أمثلة، على تجاهل سلطات الدولة المستمر للتراث العربي المبني في إسرائيل أو تجنب التربية والتعليم في هذا الشأن¹³.

لفهم الطابع الفريد لمجال الحفاظ على التراث العربي في إسرائيل ومشاكله، سنقدم دراسة حالات للبلدات التي لديها مواقع جديدة بالحفظ. هذه مراجعة أولية، والغرض الرئيسي منها هو فهم السياق التاريخي للتراث المبني في المواقع والتطورات التي أثرت على مجموعة المباني والبلدات منذ عام 1948. لقد تضرر جزء كبير من هذا التراث المبني في الحرب، أو تم هجره وتدميره لسبب أو لآخر على مر السنين. المراجعة أدناه هي محاولة لوصف سيناريوهات الماضي والإمكانات الكامنة في ما تبقى. يتضح أنه مع اتساع نطاق التدمير المتعمد نتيجة عمليات الحداثة من هذا النوع أو ذاك، ظهرت أنشطة محلية من قبل أفراد أو مؤسسات غير ربحية في محاولة لحماية التراث والحفاظ عليه. لذلك، وعلى الرغم النبرة المتشائمة إلى حد ما في هذا التقرير، نعتقد أن هناك الكثير مما يجب انقاذه وأن هناك طرقاً عديدة للعمل من أجل إكساب التراث العربي في البلاد إلى الأجيال القادمة.

جميع البلدات المعروضة أدناه موجودة في الجليل، وقد تم اختيارها من ثلاثة اعتبارات: (1) النشاط الحالي للحفاظ على المباني والتراث (مع نتائج أو بدون نتائج)؛ (2) بعد الفحص الأولي في الفترة من كانون الثاني/يناير وحتى آب/ أغسطس 2020، يتضح أن هناك إمكانية للتعاون الفعلي في المستقبل مع رئيس السلطة أو أعضائها؛ (3) نواة قرية قديمة ومبانٍ للحفاظ داخل البلدة هي نافذة للعمل والمتابعة في المستقبل.

حيفا

يرجع البعض أن اسم حيفا مشتق من الكلمة الآرامية "كيفا" (صخرة)، بسبب موقع المدينة على منحدرات صخرية بارزة نحو البحر، وعلى غرار الجبال الأخرى في الجليل فإن هذه الطبوغرافية منحت حيفا مكانة دينية

عبر التاريخ. أطلق الصليبيون على المنطقة اسم "حيفاس"، ربما تحت تأثير اسمها العربي - حيفا¹⁴. بفضل موقعها، وخاصة منذ نهاية القرن التاسع عشر، أصبحت منطقة متنامية تستقبل الهجرة من البلدات في البلاد وخارجها. في بداية القرن العشرين، كان يعيش في حيفا حوالي 10.000 نسمة، وفي عام 1948 ارتفع العدد إلى 120.000. اليوم يبلغ عدد سكان المدينة أكثر من ربع مليون نسمة من العرب واليهود.

منذ الفترة المسيحية المبكرة، كانت حيفا مدينة مهمة للأديان والثقافات المختلفة: على سبيل المثال، في المسيحية، يُعتقد على نطاق واسع أن يسوع المسيح وعائلته مروا في حيفا في طريقهم من مصر إلى منزلهم في الناصرة، وهناك العديد من الكنائس في جميع أنحاء المدينة القديمة؛ كانت المدينة في العصر الإسلامي ميناءً تجاريًا هامًا، وبُنيت الأسوار لحمايتها. في بداية عام 1100 سقطت المدينة في أيدي الصليبيين وحكموها لمدة 87 عامًا، حتى احتلها صلاح الدين؛ بعد سنوات قليلة احتلها الصليبيون مرة أخرى حتى عام 1291.

أهملت المدينة في العصر المملوكي وأصبحت قرية صغيرة، بينما احتفظت عكا المجاورة بمكانة أكثر أهمية. فقط خلال فترة الحكم الذاتي لظاهر العمر في شمال فلسطين (1775-1756) تم تشييد المباني الجديدة في المدينة. هدم ظاهر العمر جزءًا مما كان يسمى آنذاك "حيفا القديمة" وبدأ ببناء "حيفا الجديدة"، على بعد ثلاثة كيلومترات جنوب شرق البلدة القديمة - وأحاطها بسور، وبنى ثلاثة أبراج للمراقبة، وشيّد المباني، منها السرايا والحسبة ومسجد النصر. على الرغم من أن المدينة كانت في فترة ظاهر العمر بلدة صغيرة، إلا أنها اكتسبت مكانة عالمية بعد فتح أبوابها للسكان العرب والأجانب. في نهاية القرن الثامن عشر، استولت قوات نابليون على حيفا في طريقه إلى عكا، وفي أوائل القرن التاسع عشر حكمها إبراهيم باشا، ابن محمد علي حاكم مصر في ذلك الوقت. زخم البناء الرئيسي في حيفا حدث في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين.

كما ذكرنا، تأثر تطور التراث العمراني الذي أقيم في حيفا بعد ذلك بالانفتاح الثقافي ومكانتها الدولية، موقعها الاستراتيجي، وخاصة خلال استيطان مجموعة فرسان الهيكل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.



محطة القطار في حيفا في نهاية فترة الحكم العثماني

[14] اعتمدنا في هذا القسم على مقابلات مع أصحاب الشأن في حيفا، وخاصة على كتب: جوني منصور، 2007. مسارات حيفا العربية: العودة والحنين إلى التاريخ، حيفا: جمعية التطوير الاجتماعي؛ جوني منصور، 2016. حيفا، الكلمة التي صارت مدينة، عمان: دائرة المكتبة الوطنية، ؛ جورن، 2007. تاريخ حيفا، حيفا: جماعة حيفا وبلدية حيفا.

[12] انظر على سبيل المثال القائمة المبدئية والرسمية لمواقع التراث العالمي لليونسكو في إسرائيل.

[13] أزندبرغ، 10.5.2018. "أسبوع حفظ المواقع يتجاهل التراث العربي"، هآرتس.



حي البلانة عام 1930 (Palestinian Oral History Maps)



الحي الألماني في حيفا في نهاية القرن التاسع عشر¹⁵



مسجد الاستقلال

(المصدر: موقع ويكيبيديا بالعربية)



شارع ابن غبيرول الذي يمر في الحي



بيوت مهملة في حي البلانة (تصوير: يحيى أبو ريا)

فيما يلي الأحياء المهمة من ناحية التراث العمراني في حيفا والمباني التاريخية:

- البلانة من أوائل الأحياء التي شُيدت خارج سور المدينة في زمن ظاهر العمر. يتوسط الحي مسجد الاستقلال الذي بني في العهد العثماني ويعتبر من أهم المساجد التي شُيدت في فلسطين في ذلك الوقت.
- تم تشييد المباني السكنية في هذا الحي في النصف الأول من القرن العشرين، وخاصة منذ عشرينيات القرن الماضي، وهي متأثرة بالطرازات الحديثة جنبًا إلى جنب مع الطراز العربي للبناء بالحجر المحلي. كان الحي والطريق الرئيسي الذي يقطعه يربط المدينة بمدن أخرى في الجليل (بما في ذلك الناصرة وعكا)، ومن هناك مع المدن الكبرى (دمشق وبيروت)، ومن هنا أهميته الاقتصادية والتجارية. في الجهة الشرقية من الحي، تم بناء محطة القطار الرئيسية (قطار الحجاز)، وتم الحفاظ على أجزاء كثيرة منها حتى يومنا هذا.

اليوم الحي مهمل وتصنيفه الاجتماعي والاقتصادي منخفض. أدى بناء شارع ابن غبيرول في الخمسينيات من القرن الماضي إلى تدمير المباني الأثرية - بعضها هدم بالكامل وبعضها دمر جزئيًا، ومعظم ما تبقى منها لم تتم العناية به أو صيانته، ولم تكن هناك مبادرة أو خطة للحفاظ عليها. التغييرات التي طرأت على مسار الأرض في الحي في السنوات الأخيرة، وبناء الجدران الاستنادية الشاهقة، أدت إلى خلق مساحات جديدة مهملة، وتشكل مصدر إزعاج لسكان الحي.

A. Carmel, 2002. The History of Haifa under Turkish Rule. Haifa: The Gottlieb Schumacher [15 Institute for Research of the Christian Contribution to the Development of 19th Century Palestine in the University of Haifa, p. i20 (Hebrew).

مار لويس (أواخر القرن التاسع عشر) وكنيسة مار إلياس (من عام 1867). كان مسجد الجرينة المسجد الرئيسي في حيفا في العهد العثماني - وقد تضرر أيضًا من جراء القصف في عام 1948. وبجانبه كان برج الساعة الذي بني خلال الفترة العثمانية (عام 1901) بمناسبة مرور نصف عام على حكم السلطان العثماني عبد الحميد الثاني.¹⁷

يتجلى الإهمال المستمر للحفاظ على التراث العربي الفلسطيني في حيفا في البلدة القديمة. على سبيل المثال، تعرض مسجد النصر، وهو أقدم مسجد في حيفا (بناه ظاهر العمر عام 1764)، لأضرار في سلسلة من أعمال التخريب، ودمرت أجزاء منه. واليوم لا يزال قائما بفضل الشباب الذين تطوعوا للحفاظ عليه وترميمه. ومع ذلك، فإن البلدية والدولة لا تريان من المناسب الحفاظ على هذا المبنى التاريخي المهم.¹⁸



مسجد النصر وبرج الساعة من الفترة العثمانية (المصدر: ويكيبيديا بالعربية)

• **حي وادي النسناس هو** من الأحياء العربية الوحيدة التي لم تدمر في حرب عام 1948، لذا فهو يحافظ على تاريخه العربي وتراثه أكثر من الأحياء الأخرى في المدينة. بعد الحرب أرغمت الدولة معظم السكان العرب في حيفا على التجمع داخل هذا الحي، وبالتالي نجا تراثها العمراني من الدمار. لكن على مر السنين أهملت الدولة الحي، ولم تسمح لأصحاب المنازل الأصليين أو عائلاتهم بالعيش فيها، وهناك عدد غير قليل من المنازل المهجورة. إذا لم يتم اتخاذ إجراءات فورية للحفاظ على تلك المنازل فقد تنهار. يحافظ التراث العمراني في هذا الحي على الأنماط التي ميزت البناء في أوائل القرن العشرين، وهو مثال واضح ولكن مهمل لأسلوب البناء الفريد في المنطقة، سواء من ناحية الهندسة المعمارية أو الحجر أو في أسلوب الفتحات والألوان والتقسيم الداخلي للمنازل. على الرغم من التاريخ الاجتماعي والسياسي والتراث العمراني المهم في الحي لم يحظ هذا التراث حتى يومنا هذا بالدعم من البلدية أو سلطات الدولة من أجل الحفاظ على المباني. من أهم المباني في الحي: المبنى التاريخي لصحيفة الاتحاد، وهي من أهم الصحف في المجتمع العربي والتي صدرت قبل قيام الدولة وحتى اليوم. المبنى الذي عاش فيه الشاعر نوح إبراهيم في أوائل القرن العشرين؛ ومنزل الشاعر المعروف أحمد دحبور؛ مبنى مقر الحزب الشيوعي؛ منطقة السوق؛ كنيسة مار يوحنا والمدرسة التابعة للكنيسة؛ كنيسة مار إلياس الكاثوليكية التي بنيت في ثلاثينيات القرن الماضي.

• **حي الحليصة** يقع في الجانب الشرقي من المدينة ويضم عدة منازل مبنية أسفل الجبل. تم بناء هذه المنازل في عشرينيات القرن الماضي، وهي ملك لعائلات ثرية من فلسطين وسورية كانت تعيش في حيفا، لكن بلدية حيفا هدمتها في منتصف الثمانينيات. ليس بعيدًا من هناك يمكن رؤية مسجد الحاج عبد الله. تم بناء المسجد عام 1932 وهو مثال آخر على تدمير التراث العمراني في البلاد: في حرب عام 1948 قصفته القوات الصهيونية وتضرر بشكل جزئي، ولم تقم الدولة، أو بلدية حيفا، خلال العقود الماضية بإصلاح الأضرار. فقط المبادرات الفريدة الخاصة للحفاظ عليه قد أثمرت، وأعيد فتحه للنشاط في السنوات العشرين الماضية. ومع ذلك، هناك حاجة إلى دعم رسمي ومساعدة في الحفاظ عليه. على الجانب الغربي من الحي يوجد وادي رشميا، وهي منطقة كانت في السابق غنية بالمياه، ولا يزال من الممكن العثور على بقايا قلعة رومانية بيزنطية تم تجديدها في القرن الثامن عشر خلال فترة ظاهر العمر. من المؤسف أن يتم إهمال هذا الموقع التاريخي أيضًا، ولم يتم تضمينه في خطط الحفاظ أو المسار السياحي للمدينة.¹⁶

• **البلدة القديمة في حيفا** - كان الحي الذي بناه ظاهر العمر في القرن الثامن عشر يضم تحصينات وسورًا يحيط به. كما ذكرنا، أطلق على الحي اسم "حيفا الجديدة"، وهو يُعرف اليوم باسم "البلدة القديمة". تم تدمير معظم أجزاءها التاريخية في عملية شكمونة في أوائل الخمسينيات بمبادرة من بلدية حيفا، بهدف محو الهوية العربية الفلسطينية للمدينة القديمة. ساحة الحخمرة، وسط البلدة القديمة، وهي على اسم الأسرة العربية الفلسطينية التي بنت العديد من المباني حول الساحة، لكن في الخمسينيات من القرن الماضي غيرت المدينة اسمها إلى ساحة باريس، في انتهاك صارخ لتراث المكان وتاريخه.

يُعرف الجزء الغربي من البلدة القديمة بحي الكنائس، نظرًا لتعدد الكنائس فيه، بما في ذلك كنيسة

[16] جوني منصور، 2007. مسارات حيفا العربية: العودة والحنين إلى التاريخ، حيفا: جمعية التطوير الاجتماعي؛ حوني منصور، 2016. حيفا، الكلمة التي صارت مدينة، عمان: دائرة المكتبة الوطنية،

[17] حوني منصور، 2016. حيفا، الكلمة التي صارت مدينة، عمان: دائرة المكتبة الوطنية،

[18] حيفا نت 7.12.2017. إنجاز تاريخي بانتهاء الترميمات في جامع النصر في حيفا / <https://haifanet.co.il/archives/38111>

• **حي وادي الصليب** هو من أكثر الأحياء إهمالاً في حيفا. في عام 1948 تم طرد جميع سكانه العرب أو فروا منه، ومنذ تلك الفترة هُجرت العديد من المباني القائمة فيها، ولم تعمل البلدية منذ عقود لوضع خطط للحفاظ على التراث العمراني الغني في الحي. بل على العكس - فقد هدمت على مر السنين منازل العرب لمنع عودة سكانها الأصليين. في السنوات الأخيرة أصدرت سلطات الدولة مناقصات جديدة لبيع منازل تاريخية في الحي، وغيرت بعض المنازل غايتها من مبانٍ سكنية إلى مبانٍ تجارية. هكذا يفقد الحي طابعه وجماله المعماري.¹⁹



منازل مهجورة في حي وادي الصليب (المصدر: ويكيبيديا بالعربية)

• **حمام الباشا (الحمام التركي)** بني خلال الفترة العثمانية في أوائل القرن العشرين وكان نقطة محورية للقاء الاجتماعي لسكان حيفا. حتى سبعينيات القرن العشرين كان الحمام ما زال يعمل، ومنذ ذلك الحين تحوّل إلى ملهى ليلي، ومؤخرًا إلى مطعم. يبدو أن مشغلي المكان يغيرون ويدمرون أجزاء منه على النحو الذي يرونه مناسبًا. من أجل إنقاذ ما تبقى منه ومنع هدمه، يلزم إجراء أعمال ترميم وصيانة متواصلة.

للتلخيص، تتمتع مدينة حيفا الحديثة بتاريخ غني وتراث عمراني ثري - من الفترة العثمانية وحتى فترة الانتداب - على الرغم من الدمار الشامل للمنازل القديمة قبل حرب 1948 وبعدها، وعلى الرغم من محو التراث العمراني على مر السنين، مثل عملية شكومونة. من الجدير أن تضع البلدية وسلطات الدولة أهدافًا جديدة لإنقاذ هذا التراث ووقف تنفيذ خطط تغيير الأحياء فورًا.

عكا

معظم سكان عكا القديمة هم عرب فلسطينيون. مراجعة التراث العمراني في المدينة والحفاظ عليه تظهر صورة قاتمة. تعلمنا الحفريات الأثرية أن عكا القديمة تقع في تل الفخار، أو تلة نابليون كما تصر البلدية على تسميتها، شرق المدينة القديمة اليوم.²⁰ ازدهرت عكا على مدار 4000 عام، وخاصة في العصرين الروماني والعربي، ولفترة قصيرة كانت عاصمة الدولة الصليبية. أعاد بناؤها ظاهر العمر في القرن الثامن عشر وأصبحت من أهم مدن فلسطين والشام. يوجد في البلدة القديمة سبعة مساجد وخمس كنائس - وهذا دليل على الثقافة والأخوة الدينية للسكان على مر العصور.

عكا القديمة هي واحدة من أكثر المدن التاريخية إثارة للإعجاب في حوض البحر الأبيض المتوسط. كما أنها المدينة العربية الوحيدة المتبقية على شواطئ البحر الأبيض المتوسط داخل الخط الأخضر في إسرائيل. تعج المدينة القديمة بالنشاط والحياة، ولا يزال سوقها يعمل على الرغم من التحديات الاقتصادية وعادات الاستهلاك الاستهلاكية المتغيرة في القرن الحادي والعشرين، وذلك بفضل سكانها الذين يواصلون الإصرار على حقهم في الحفاظ على أسلوبها وتراثها الفريد. يحافظ السكان على مجد تلك المدينة القديمة التي فشل نابليون بونابرت في احتلالها في عام 1799 والتي قال: "لو استطعت احتلال عكا لكان جنودي يتمتعون بهالة من القداسة وكنت سأكون إمبراطورًا يحكم الشرق كله"²¹.

توسعت العديد من المدن الساحلية وتطورت اقتصاديًا في القرن التاسع عشر، بما في ذلك عكا: تم بناء المساجد والحمامات والخانات داخل المدينة؛ استقر فيها التجار الأثرياء وقاموا ببناء السرايا والمنازل على الطراز الكلاسيكي الجديد الشرقي في أواخر القرن التاسع عشر؛ تم بناء العديد من المباني التي أقيمت منذ فترة ظاهر العمر فوق الطبقات المبنية السابقة، كما هي الحال في المدن التاريخية الأخرى حول العالم (مثل مدينة القدس القديمة)؛ كما تم تطوير نظام سور المدينة المثير للإعجاب من قبل حكام عكا المحليين منذ فترة ظاهر العمر. لا تزال بقايا منظومة إمدادات المياه القديمة التي تم إنشاؤها في ذلك الوقت موجودة في أنحاء المدينة.

[20] ن شور، 1990. تاريخ عكا، القدس: دقير

[21] T. Philipp, 2001. *Acre: The Rise and Fall of a Palestinian City, 1730-1831*, New York: Columbia University Press.

[19] جوني منصور، 2007. مسارات حيفا العربية: العودة والحنين إلى التاريخ، حيفا: جمعية التطوير الاجتماعي؛ حوني منصور، 2016. حيفا، الكلمة التي صارت مدينة، عمان: دائرة المكتبة الوطنية، ؛ جورن، 2007. تاريخ حيفا، حيفا: جامعة حيفا وبلدية حيفا.

تعهدت الدولة وسلطاتها بتأسيس منظومة محلية للمشاركة الحقيقية لسكان البلدة القديمة في اتخاذ القرارات المتعلقة بحياتهم وتراثهم، على النحو المبين في بنود الإعلان:

Ten. Property management plan and statement of objectives

3. Provision of a solution to the inhabitants in the fields of residential accommodation, environment, community services, infrastructure, employment and involvement of the public in the planning process.²³

كما أقرت الدولة عدم ممارسة أية ضغوطات على البناء والتطوير في عكا القديمة:

One. Development pressure

Due to its unique geographical location the contact between the old city of Acre and the new city is limited, and the factor of development pressure does not constitute a problem.²⁴

حسب رأينا فإن مخطط الحفاظ على تراث عكا القديمة لا يجري وفق الالتزامات أعلاه. فيما يلي بعض الأمثلة:

• السكان العرب في عكا ليسوا طرفًا أساسيًا في اتخاذ القرارات المتعلقة بإدارة مدينتهم. ممثلوهم، القيادات الدينية، المؤسسات المجتمعية، النشطاء الاجتماعيون والسياسيون وغيرهم من أصحاب الشأن ليسوا جزءًا من المنظومة المشتركة لاتخاذ القرارات. فوفقًا للنشطاء والصحافي سامي هوارى ابن عكا فإن المؤسسة تتجاهلهم بشكل دائم، باستثناء المشاركة العشوائية لعضو البلدية هذا أو ذاك في القضايا المتعلقة بالمدينة القديمة.²⁵

• في السنوات الأخيرة، أعلنت الدولة وسلطاتها، بما في ذلك وزارة السياحة وبلدية عكا وشركة تطوير عكا، عن مشاريع تنمية سياحية في موقع التراث العالمي عكا القديمة. وفقًا للخطة، سيتم بناء مجمعات جديدة على رأس خان العمدان وخان الشونة - وهما من أكثر المواقع التاريخية إثارة للإعجاب في عكا القديمة التي بنيت في العصور الوسطى - وأعلنت إسرائيل أنه سيتم الحفاظ على المواقع وفقًا لقواعد الحفاظ الصارمة لليونسكو. وبحسب المخطط، سيتم إجلاء جميع السكان العرب من الموقع (أكثر من مائتي نسمة) على الفور، من أجل إفساح المجال لـ 300 غرفة فندقية داخل كل من هذه الخانات والمناطق المحيطة بها. ولتعزيز الخطة، أوضحت السلطات أن بيان اليونسكو هو الذي دفع كبار المستثمرين لبناء فنادق سياحية - ولكن من المفارقات المؤسفة، أن ثمن التطوير هو تدمير مبانٍ من العصور الوسطى، التي بدونها لم تكن عكا مدرجة في قائمة اليونسكو للتراث العالمي.

The Conservation Department of the Israeli Antiquities Authority, 2001. *Nomination of the Old City of Acre for the World Heritage List*, UNESCO, p. 53.

[24] שם, עמ' 54.

[25] في السنوات السابقة، قدم النائب البرلماني السيد باسل غطاس شكوى إلى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) بشأن قضايا تتعلق بهذا الإهمال وعدم مشاركة المواطنين في عكا، انظر على سبيل المثال: Arab MKs: Acre municipality forcing out Arab residents, YNET 24.5.2015



خريطة البلدة القديمة عكا (المصدر: ويكيبيديا بالعبرية)

يعيش في عكا اليوم حوالي 55,000 نسمة، ثلثهم (18.000) من العرب. تقع عكا على التدرج 4 من 10 في سلم الترتيب الاجتماعي والاقتصادي العام، ومتوسط أجر السكان هو أقل بكثير من معدل الاجر العام في الدولة (المعدل العام: 9351 شاقل) - على غرار متوسط الأجر في العديد من المدن والقرى في الجليل. ووفقًا لتقارير وشهادات السكان في عكا القديمة، يعاني أكثر من ثلث سكانها (حوالي 38%) من إهمال مؤسسات الدولة ويعيشون تحت خط الفقر.²²

يقول سكان البلدة القديمة إنه حدث تحسن طفيف للغاية في وضعهم الاقتصادي في السنوات الأخيرة، لكنه لا يزال سيئًا، على الرغم من التاريخ الغني للمدينة، والذي يحمل حتمًا إمكانية ازدهار المدينة وتطورها. وقال (أ)، أحد سكان المدينة في حديث معه: "الدولة مهتمة بتسويق عكا التي تحت الأرض، بينما التراث العمراني فوقها يتعرض لمعاملة تمييزية خاصة إذا كان طابعه عربيًا أو إسلاميًا".

في عام 2001، بعد أن قدمت دولة إسرائيل طلبًا للاعتراف بعكا كموقع تراث عالمي، أعلنت لجنة التراث العالمي لليونسكو أن عكا موقع تراث عالمي. تعهدت إسرائيل في ملف الترشيح الذي قدمته، بدعم وسائل حفظ البلدة القديمة وفق المعايير الدولية المقبولة. للأسف، منذ ذلك الإعلان، تتعارض سياسة الحفاظ على التراث العمراني في عكا مع روح الإعلان ومع القانون الدولي كما ورد في الاتفاقيات الدولية في مجال حفظ التراث، وكذلك مع الأحكام والمعايير التي وضعها فريق خبراء اليونسكو المعتمد من قبل اللجنة.

M. Botser, 2006. *Acre: The process of city deterioration and recommendations for improvement*. [22]

Jerusalem: Koret Milken Institute.


רשות מקרקעי ישראל
 ISRAEL LAND AUTHORITY



 אזור אישי אזור למייצג

מכרז לבניית מלון בעכו במתחם חאן אל עומדאן
 08/10/2013 מכרזי מקרקעין

מכרז לבניית מלון בעכו במתחם חאן אל עומדאן - אתר מורשת עולמית של UNESCO.
 רשות מקרקעי ישראל ומשרד התיירות באמצעות החברה לפיתוח עכו הוציאו מכרז חדש לבניית מלון במתחם חאן אל עומדאן

רשות מקרקעי ישראל ומשרד התיירות באמצעות החברה לפיתוח עכו העתיקה (חברה בת), פרסמו מכרז לחכירה ופיתוח מתחם חאן אל עומדאן שבעכו העתיקה. המתחם מיועד לבניית מלון בן כ- 200 חדרים, תוך פיתוח ושימור האתר ההיסטורי. המכרז מיועד רק למועמדים שיקבלו המלצה מאת משרד התיירות, לאחר שהמשרד יבחן את התאמת התכנית לפרוייקט.

חאן אל עומדאן הנו אחד המבנים העתיקים, היפים והמרשימים בישראל. המבנה העות'ומני, אשר נבנה בסוף המאה ה-18 ממוקם בליבה של עכו העתיקה. שמו של החאן נגזר משורת עמודי הגרניט העומדים בקומתו התחתונה. בעבר שימש החאן למסחר בינלאומי בזכות סמיכותו לנמל עכו ובשנת 2001 הוכרז כאתר מורשת עולמית של UNESCO.

לאור הפוטנציאל התיירותי הגדול הקיים בעכו, השקיע משרד התיירות בעשר השנים האחרונות מעל 185 מיליון ₪ בפיתוח תיירותי של העיר. כיום יש בעכו היצע של כ- 340 חדרי אכסון ועוד כ- 180 חדרים בתהליכי תכנון ושיווק (לא כולל את חאן אל עומדאן). על פי הערכות הגורמים המקצועיים בעיר, חסרים עוד כ-1,300 חדרים.

המועד האחרון להגשת ההצעות למכרז: 6.1.2014.
 לפרטים נוספים:
 אורטל צבר
 דוברת וממונה על יחסי ציבור

מטל عن توجهات التخطيط لسلطة أراضي إسرائيل ووزارة السياحة في عكا.

اتضح أن موقع التراث العالمي في عكا القديمة يستخدم لتعزيز التنمية السياحية ولكن لإهمال المباني ذات القيمة التاريخية والثقافية الكبيرة. تشمل قائمة المباني المعرضة للهدم جميع المباني التاريخية الأكثر أهمية في عكا تقريبًا:

3. خانالشوارة: تم التخطيط لترميمه والتدخل المعماري الذي يشمل إعادة البناء التي ستغير المبنى بالكامل لتحويله إلى فندق من 60 غرفة.

4. منطقة البستان: مخطط بناء فندق من 60 غرفة.

5. خان العمدان وخان الشونة: سيتحول إلى فندق كبير يضم 170 غرفة.

6. مجمع كنيسة القديس يوحنا المعمدان: تم التخطيط لإقامة فندق.

7. برج كريم (قلعة كريم): تحول إلى مركز مؤتمرات ومطعم.

8. المنطقة 54، وفيها قناطر رائعة من العصور الوسطى: المركز سيحتوي على "أنشطة سياحية".

9. المعصرة القديمة: تم التخطيط لإقامة فندق مكانها.

10. منطقة الموائئ في "المجمع الصليبي": سيتم بناء فندق كبير يضم 170 غرفة.

يبدو أن السلطات، التي يتمثل دورها في الحفاظ على التراث المعماري لعكا القديمة، تتجاهل في الواقع بشكل منهجي ومتعمد هذه المباني الهامة من أجل عرض السياحة كأنها الخيار الوحيد الذي من شأنه أن ينقذ تدميرها الكامل، والذي كان من الممكن منعه من خلال الحفاظ عليها.

شهادات عديدة على سوء حالة الحفاظ في السنوات الـ14 الماضية منذ الكشف عن تصريحات اليونسكو تظهر خلال زيارة إلى خان العمدان وخان الشونة؛ في الحمام التركي ومنذ سبعينيات القرن العشرين، تم تدمير أجزاء منه بسبب منع السكان من العمل على صيانتهم والحفاظ عليه.

التراث الثقافي العمراني في قرى الجليل

لا شك في أن معظم القرى العربية الفلسطينية في الجليل تحافظ على نواة القرية القديمة أو أجزاء منها. فهناك مبانٍ رائعة تشهد على الثراء الثقافي وتراث البناء بالحجر المحلي للمنطقة، ويستخدمها السكان بطرق متنوعة تتكيف مع حياتهم اليومية. لفهم التراث الثقافي للجليل، يجب دراسة تطور القرية الزراعية القديمة والعلاقة بين تخطيط المنزل واحتياجات حياة أصحابه. لذلك اخترنا تقديم نوعين من المباني الواقعة في قرى الجليل. هذه مراجعة جزئية فقط ولا تدعي تقديم جميع المكونات التراثية التي تم بناؤها في المنطقة.

أ- أبنية جدرانها من الحجر وأقواسها هي أساس السطح (الركس). حتى نهاية العهد العثماني، تم بناء هذه المباني في جميع مراكز القرى في الجليل. السقف مبني من عدة طبقات:

- طبقة من الأغصان الكبيرة والسميكة المتباعدة 60-80 سم.
- شكلت طبقة من الأغصان الرقيقة لأشجار الزيتون منحدرًا لمنع دخول مياه الأمطار.
- طبقة من الفروع لتثبيت السقف والحفاظ على الفروع معًا.
- طبقة من التربة الرمادية بسمك 10 سم.
- طبقة من الطين لتعبئة واغلاق الشقوق.

ب - مباني العقد: تم بناء المباني على طراز العقد بشكل أساسي من القرن السابع عشر إلى منتصف القرن العشرين. شكلها جميل وفريد من نوعه. السقف عبارة عن قوس حجري مربع الشكل ومتصل بقواعد عريضة في أركانه الأربعة. عادة ما يتم بناء المبنى من الحجر الجيري الكبير، مع إضافة الطين والحصى، مما يمنح البيت المتانة والثبات المميزين للمباني القديمة. تم نحت تلك الأحجار بسمك خاص - يصل إلى متر - لتوليد الحرارة في أيام الشتاء الباردة والبرودة أيام الصيف.

في بعض القرى العربية من الممكن العثور على بعض من تلك المباني المنتشرة في مركز القرية، وفي قرى أخرى تنتشر في أنحاء مختلفة منها العديد من تلك المباني. على سبيل المثال، تم إحصاء حوالي 25 مبنى عقد في عيلبون، ولكن في قرية البعينة- النجيدات المجاورة لم نجد سوى مبنى واحد نجا من التطوير الحديث. بالنسبة لسكان البعينة-النجيدات، فإن هذا المبنى الوحيد يرمز إلى تراث أخذ في الزوال، وتنظم مدارس القرية رحلات وأيامًا دراسية لجميع الفئات العمرية، للتعرف على تاريخ المبنى وأهميته، ومن خلال ذلك استدخال القيم المتأصلة في الحياة من الفترة التي كانوا يبنون فيها العقد. يزور المبنى من حين لآخر أيضًا بعض السياح المحليين.

كذلك الأمر في عكا وفي الناصرة على وجه الخصوص، حيث يمكن العثور على عدد كبير من مباني العقد. وقد أدى الوعي المتزايد بقيمة التراث الثقافي في السنوات الأخيرة إلى محاولات عديدة من قبل السكان المحليين للحفاظ عليها. في الواقع، بالمقارنة مع أواخر تسعينيات القرن العشرين، يتم في السنوات الأخيرة هدم عدد أقل من تلك المباني. على الرغم من ذلك، لا تزال المباني في بعض الأحيان تتعرض للهدم من قبل أصحابها، بسبب نقص التشريعات والترتيبات القانونية. وفق شهادات لأهال من كفر كنا، فإن بناية عقد قد هُدمت عام 2019 قرب الطريق الرئيسي داخل البلدة، ولم يمنع المجلس المحلي وسلطات التخطيط في المنطقة هدمها.



سكان عكا القديمة يناضلون ضد محاولات الإخلاء من بيوتهم



الحمام الصغير مهمل ومهدوم جزئيًا

ملخص السياسة المحلية للحفاظ على التراث المحلي في القرى

المسؤولون وأصحاب الشأن الذين التقيناهم في قرى الجليل أثناء إعداد هذا التقرير خلال النصف الأول من سنة 2020 يدعون جميعهم ما مفاده: "نحتاج إلى الحفاظ على التراث العربي في منطقتنا". عندما سئلوا لماذا يعتقدون أنه لا توجد إجراءات حماية منظمة، أجاب الغالبية أنه لا يوجد دعم من الدولة لمثل هذه المبادرات وأن جميع ميزانيات الحفظ والتطوير موجهة إلى مواقع التراث اليهودي أو الصهيوني. فيما يتعلق بدور السلطة المحلية، كانت للناشطين الاجتماعيين ادعاءات عديدة: رؤساء السلطات المحلية لا يضعون مجال الحفاظ على التراث في رأس أولوياتهم، وهم يتجنبون التعامل مع الموضوع، ولا يتم طرحه للنقاش في اجتماعات المجالس المحلية؛

بالإمكان دائمًا إيجاد عضو مجلس أو اثنين ممن يسعون إلى تعزيز وتسوية الحفاظ على التراث العمراني، ولكن عندما يحاولون القيام بذلك فهم يواجهون ادعاءات أصحاب المنازل حول النقص الحاد في الأراضي المخصصة لبناء منازل لأبنائهم. لا يتعاون أصحاب المنازل مع مقترحات لتقييد استخدام المباني التي يمتلكونها، وتؤدي المصالح المتضاربة إلى صراعات وتوترات داخلية.

بالطبع، وكما هو معروف من أماكن أخرى في العالم، وخاصة في القرى القديمة والضيقة، هناك مجموعة متنوعة من خيارات العمل التي يمكن للسلطة المحلية اعتمادها لبناء إطار متفق عليه للحفاظ على المباني ذات القيمة الثقافية، ونحن نوصي ببعض منها:

1. مشاركة الجمهور، الإصغاء لمشاكل واحتياجات سكان الحي. بدون الشعور بالثقة بين السلطة المحلية وأصحاب المنازل لا يمكن المضي قدمًا في الخطط طويلة الأجل.
2. إيجاد الحلول "خارج الصندوق". على سبيل المثال، يمكن أن يُعرض على مالكي المنازل، بالتنسيق مع سلطات التخطيط (من خلال استخدام الأحكام الواردة في المخطط الرئيسي للمنطقة)، نقل حقوق البناء في المبنى إلى مكان آخر من أجل تشجيعهم على تجنب أي تدمير أو تغيير في المباني التي يمتلكونها.
3. خطط لتقوية المباني من الناحية الهندسية (على سبيل المثال ضد الهزات الأرضية) ورعايتها، واشتراك السلطة المحلية بتغطية بعض التكاليف.
4. كما ورد في الملحق الرابع لقانون التخطيط والبناء في إسرائيل، 1965، يجب على كل سلطة محلية أن تنشئ لجنة حماية في منطقتها. للأسف، فقط عدد قليل من القرى تطبق هذا البند من القانون، وبالتالي يحرم السكان من إمكانية صوغ خطاب محلي جوهري حول مسألة الحفاظ على التراث. كما توجد لجان تم تشكيلها ولم تكن نشطة، وتركيبها غير متوافقة مع أحكام القانون. وزارة الداخلية لا تراقب عملية إنشاء لجان الحفاظ على المباني التراثية في السلطات المحلية، وليس لديها معلومات محدثة حول ما إذا كانت قد تم إنشاؤها. بالطبع، يمكن للجنة كهذه أن تقود خطوات بعيدة المدى، على شكل لوائح داخلية في مجال الحفاظ على المباني (على سبيل المثال، لائحة تسمح بتجديد وصيانة واجهات المنازل)، لتسوية الأمر في المستقبل - وبالتالي فإننا نوصي بتشكيل هذه اللجان والإشراف الرسمي على إقامتها.



عقد نموذجي يستخدم للسكن في قرية عيلبون

المطالبة بالاعتراف بالقرى العربية المدمرة

كما ذكرنا، من المفترض أن يعكس التراث الثقافي تاريخ السكان المحليين وجوانبه المأساوية وغيرها. لدى المجتمع العربي في إسرائيل مطلب عام بالحفاظ على بقايا القرى التي تم إفراغها - بسبب تهجير سكانها أو اضطرابهم لمغادرتها - في حرب عام 1948. الحديث يدور حول مئات القرى التي ما زالت آثارها قائمة في جميع أنحاء البلاد. راكم الباحثون والجمعيات قدرًا كبيرًا من الخبرة والمعرفة حول هذه القرى من خلال أنشطتها على مدى العقود الماضية، وفي السنوات الأخيرة دعا المهندسون المعماريون وعلماء الأنثروبولوجيا وعلماء الآثار الإسرائيليون أيضًا إلى الحفاظ على تلك المواقع.

المعماري شموئيل جرواج، الناشط في مجال الحفاظ على التراث، على سبيل المثال، يطالب بإصلاح ما تم إتلافه، والحفاظ على ذكرى 418 قرية مدمرة ووضعها "كجزء من التراث المشترك"²⁶؛ كما تقترح نوغا كدمان الحفاظ على هذا التراث، والعمل عبر ذلك لتمهيد الطريق الذي يتيح التعامل مع ذلك التصور المشوه لتلك الأحداث، وربما حتى تعزيز المصالحة داخل إسرائيل²⁷؛ كما وكُتبت العديد من الكتب التي تتناول ذاكرة، تاريخ وتراث تلك القرى من قبل باحثين عرب فلسطينيين (مثل جوني منصور، وشكري عراف وآخرون) - لكن الدولة ترفض الاعتراف بأهميتها حتى يومنا هذا.

[26] ش جرواج، 2006. "الحفظ والنسيان"، بلوك 4، ص 37-33. (بالعبرية)

[27] ن كدمان، 2005. إقصاء القرى العربية التي أُفرغت عام 1948 عن الخطاب الإسرائيلي، القدس: سفري نوفمبر. (بالعبرية)

